لتحسين الكلام بها وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام ۞
وزعم ان الوجه في ذلك انه من باب الفواصل او زعم ان ذلك وقع غير
مقصود اليه وان ذلك اذا اعترض في الخطاب لم يعد سجعا على ما قد بينا من
القليل من الشعر كالبيت الواحد والمصراع والبيتين من الرجز ونحو ذلك ويعرض
فيه فلا يقال انه شعر لانه لا يقع مقصودا اليه وانما يقع معمورا في الخطاب
فكذلك حال السجع الذي يزعمونه ويقدرونه ويقال لهم لو كان الذي في القرآن
على ما يقدرونه سجعا لكان مذموما مرذولا لان السجع اذا اتفاوتت اوزانه
واختلفت طرقه كان قبيحا من الكلام وللسجع منهج مرتب محفوظ وطريق
مضبوط متى خامل به المتكلم اوقع الخلل في كلامه ونسب الى الخروج عن
الفصاحه كما ان الشاعر اذا خرج عن الوزن المعهود كان مخطيا وكان شعره
مرذولا وربما اخرجه من كونه شعرا وقد علمنا ان بعض ما يدعونه سجعا
متقارب الفواصل متدانى المقاطع وبعضها مما يمتد حتى يتضاعف طوله عليه
وترد الفاضله على ذلك الوزن الاول بعد كلام كثير وهذا في السجع غير مرضي
ولا محمود فان قيل متى خرج السجع المعتدل الى نحو ما ذكرتموه خرج من ان يكون
سجعا وليس على المتكلم ان يلتزم ان يكون كلامه كله سجعا بل يأتي به طورا ثم يعدل
عنه الى غيره ثم قد يرجع اليه ۞ قيل متى وقع احد مصراعي البيت مخالفا
للاخر كان تخليطا وخطأ وكذلك متى اضطرب احد مصراعي الكلام المسجع و
تفاوت كان خطأ وعلم ان فصاحه القرآن غير مذمومة في الاصل فلا يجوز ان يقع
فيها نحو هذا الوجه من الاضطراب ولو كان الكلام الذي هو في صوره المسجع منه
لما تخيروا فيه وكانت الطباع تدعوا في المعارضه لان السجع غير ممتنع عليهم
بل هو عادتهم فكيف ينقض العاده بما هو نفس العاده وهو غير خارج عنها ولا
مميز منها وقد يتفق في الشعر كلام على منهاج السجع وليس بسجع عندهم وذلك
نحو قول البحتري تشكى الوجا والليل ملتبس الدجى عزيزيه الانسياب
مرت تفيعها وقوله ايضا قريب المدى حتى يكون
الى التيدي عدو البغي حتى يكون معالي ورايت بعضهم يركب هذا فيزعم انه سجع
مداخل ونظيره من القرآن قوله تعالى ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول اين شركائي
الذين تشاقون فيهم وقوله امرنا مترفيها ففسقوا فيها وقوله احب اليكم من الله
ورسوله وجهاد في سبيله وقوله التوراة والانجيل ورسولا الى بني اسرائيل وقوله
اتى وهن العظم مني ولو كان ذلك عندهم سجعا لم يتخيروا فيه ذلك التخير حتى

سماه بعضهم مسجعا وتصرفوا فيما كانوا يسمونه به ويصرفونه اليه ويتوهمونه فيه
وهم في الجمله عارفون بعجزهم عن طريقه وليس القوم بعاجزين عن تلك الاساليب
المعتاده عندهم المالوفه لديهم والذي تكلمنا به في هذا الفصل كلام على جمله دون
التفصيل ونحن نذكر بعد هذا في التفصيل ما يكشف عن مباينه ذلك وجوه السجع
۞ ومن حبس السجع المعتاد عندهم قول ابي طالب لسيف ابن ذي يزن ابنتك مثبت
طاب ارومته وعزت جرثومته وثبت اصله وبسق فرعه ونبت زرعه في اكرم
موطن واطيب معدن وما يجري هذا المجرى من الكلام والقرآن مخالف لنحو هذه
الطريقه مخالفته للشعر وسائر اصناف كلامهم الدائر بينهم ولا معنى لقولهم ان
ذلك مشتق من ترديد صوت الحمامه صوتها على نسق واحد وروي غير مختلف
لان ما جرى هذا المجرى لا يبنى على الاشتقاق وحده ولو بني عليه لكان الشعر
سجعا لان رويه يتفق ولا يختلف وتتردد القوافي على طريقة واحدة ۞
واما الامور التي يستريح اليها الكلام فانها تختلف فربما كان ذلك مسمى
قافية وذلك انما يكون في الشعر وربما كان ما ينفصل عنده الكلام من مقاطع السجع
وربما سمي ذلك فواصل وفواصل القرآن مما هو مختص بها لا شركة بينه وبين
سائر الكلام فيها ولا تناسب ۞ واما ما ذكروه من تقديم موسى على هارون
عليهما السلم في موضع وتاخيره عنه في موضع لمكان السجع ۞ والتساوي
مقاطع الكلام فليس بصحيح لان الفايده عندنا غير ما ذكروه وهي ان اعاده ذكر
القصه الواحده بالفاظ مختلفه تودي معنى واحدا من الامر الصعب الذي تظهر
فيه الفصاحه وتتبين فيه البلاغه وايجاد كثير من القصص في مواضع مختلفه
على ترتيبات متفاوته وتنبهوا بذلك على عجزهم عن الاتيان بمثله مبتدا به و
مكررا ولو كان فيهم تمكن من المعارضه لقصدوا تلك القصه فعبروا عنها
الفاظ لهم تودي تلك المعاني ونحوها وجعلوا بازاء ما جاء به ونوصلوا بذلك
الى تكذيبه والى مساواته فلما جاء به كيف وقد قال لهم فليأتوا بحديث مثله ان
كانوا صادقين فعلى هذا يكون المقصد تقديم بعض الكلمات وتاخيرها اظهار
الاعجاز على الطريقين جميعا دون التسجيع الذي توهموه ۞ فان قال قايل القرآن
مختلط من اوزان كلام العرب ففيه من جنس خطبهم ورسايلهم وسجعهم
وموزون الكلام منهم الذي هو غير مقفى ولكنه ابدع فيه ضربا من الابداع لبراعته
وفصاحته ۞ قيل قد علمنا ان كلامهم ينقسم الى نظم ونثر وكلام مقفى غير
موزون ونظم موزون ليس بمقفى كالخطب والسجع ونظم مقفى موزون له

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)